

أوراق إيران التي ذبلت

خير الله خير الله
إعلامي لبناني

خصص الرئيس دونالد ترامب جزءاً صغيراً من خطابه عن حال الاتحاد لإيران. مثلما عمل رونالد ريغان ابتداءً من العام 1981 على تفكيك الاتحاد السوفياتي، يبدو أن ترامب في طريقه إلى إعادة إيران إلى حجمها الطبيعي. سيسمح له ذلك بترك بصماته على تاريخ الشرق الأوسط وخريطته الجغرافية.. هذا إذا استطاع وضع إيران في مكانها الصحيح بعد سنوات طويلة نجحت خلالها في تغيير طبيعة المجتمعات في دول عده قريبة منها وبعيدة عنها. أورد ترامب، في الخطاب السنوي، الذي يليه كل رئيس أميركي أمام الكونغرس، توصيفاً واقعياً لحال الاقتصاد الإيراني ومدى تدهوره في ضوء العقوبات الأميركية. تطرق أيضاً إلى تصفية الولايات المتحدة لقاسم سليمان قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" الإيراني مطلع هذه السنة. كان قاسم سليمانياً المشرف الفعلي على النشاط الإيراني في العراق وسوريا ولبنان وفي الأراضي الفلسطينية، خصوصاً قطاع غزة وحتى في اليمن وأفغانستان. كان نشاطه يعتمد على تجنيد الميليشيات المذهبية في كل بلد من هذه البلدان في خدمة المشروع التوسعي الإيراني.

تريد إيران أن يكون كل بلد من هذه البلدان أو الأراضي، وهي بلدان وأراض عربية باستثناء أفغانستان، جرماً يدور في فلكها وورقة من أوراقها. هدفها تكريس دورها الإقليمي، بغض النظر عن المؤس الذي يعانى منه القسم الأكبر من الإيرانيين داخل "الجمهورية الإسلامية" التي أسسها آية الله الخميني قبل واحد وأربعين عاماً.

يمكن اعتبار التدهور الذي يعانى منه الاقتصاد نتيجة المكابرة التي تتمتع بها طليعياً نتيجة المكابرة التي تتمتع

بها تصرفات كبار المسؤولين الإيرانيين الذين يرفضون الاعتراف بأن ليست لديهم حلول من أي نوع للداخل الإيراني، خصوصاً أن البلد بقي أسير ما يصدره من النفط والغاز. أما على الصعيد الخارجي، ليس هناك نموذج إيراني ناجح يمكن تقديمه في أي مجال سياسي أو اقتصادي أو حضاري.

من الواضح أن إيران ترفض التعاطي مع المعطيات الإقليمية والدولية الجديدة التي نشأت مع وصول دونالد ترامب إلى البيت الأبيض. لهذا السبب نرى رئيس الجمهورية حسن روحاني يتحدث عن إعادة العمل في الاتفاق النووي مع مجموعة الخمسة زائداً واحداً الذي مرّقه الرئيس الأميركي. لا يدري روحاني، أو ربما يدري جيداً، أن ورقة الاتفاق النووي لم تعد صالحة لاينزاح أي كان، وأن الرهان على أوروبا ليس رهاناً في محله. أكثر من ذلك، لم تستطع إيران التخلص من عقدة تتحكم بكل تصرفاتها وهي عقدة رفض الاعتراف بالفشل مع ما يعنيه ذلك من امتلاك شجاعة القيام بعملية نقد للذات.

في العام 1986، مرّ حدثان كشفوا الاتحاد السوفياتي الذي كان رونالد ريغان أدخله قبل ذلك في سياق تسلح غير قادر على السير فيه. كان ذلك عندما تحدّث الرئيس الأميركي عن "حرب النجوم"، أي عن منظومة صاروخية موجودة في الفضاء قادرة على تعطيل أي صواريخ يمكن أن تنطلق من الاتحاد السوفياتي. تبين مع الوقت أن ما أعلنه عنه ريغان كان أقرب إلى الخيال من الواقع، لكن "حرب النجوم" أظهرت عدم امتلاك الاتحاد السوفياتي القدرة على منافسة الولايات المتحدة في حرب تسلح من هذا النوع. تبين بكل بساطة أن الاقتصاد السوفياتي من الهشاشة إلى درجة جعله شبيهاً بجسم عملاق تحمله ساقان لا تقويان على التحرك من دون كازين!

حصلت على الأرض ترجمة للحال الاقتصادية للاتحاد السوفياتي. كان



واضحاً بعد جولة الانتخابات في أيوا، الهادفة إلى اختيار مرشح للحزب الديمقراطي يواجه ترامب بعد نحو تسعة أشهر، أن لا مرشح جدياً قادراً على هزيمة ترامب في تشرين الثاني - نوفمبر المقبل. لا يعمل الوقت لمصلحة "الجمهورية الإسلامية" مثلما لم يلعب لمصلحة الاتحاد السوفياتي. هل هناك في طهران من يريد أن يعي أن براك أوباما رئيس سابق، وأن ليس من هو مستعد للتفاوض معها بشروطها، خصوصاً أن الأوراق التي تمتلكها ليست أوراقاً لبنان، الذي دخل مرحلة الإنهيار الكامل في غياب من يسال عنه عربياً أو أميركياً، أو في العراق حيث ثورة حقيقية على كل من له علاقة، من قريب أو من بعيد، بالمستعمر الإيراني!

إيران دولة من دول العالم الثالث في أحسن الأحوال. مثلما لم يستطع الاتحاد السوفياتي تطوير نفسه والتكيف مع المعطيات الجديدة التي رافقت وصول رونالد ريغان إلى البيت الأبيض خلفاً لرئيس عاجز اسمه جيمي كارتر، لم تستطع إيران التكيف مع عهد دونالد ترامب. الأكيد أن المكابرة لا تنفع في شيء. كذلك لن ينفع الرهان على أن الرئيس الأميركي لن يكون رئيساً لأربع سنوات أخرى بعد انتخابات تشرين الثاني - نوفمبر المقبل. لم يفشل الحزب الديمقراطي في محاكمة ترامب أمام الكونغرس بسبب ما وُصف بأنه ضغوط مارسها على الرئيس الأوكراني فحسب، بل إن جولة الانتخابات الأولى في ولاية أيوا أظهرت أن الحزب الديمقراطي يعاني من فوضى داخلية، ما صار

أما الحدث الثاني، فكان الحادث الذي تعرّض له مفاعل تشيرنوبيل النووي في أوكرانيا يوم 26 نيسان - أبريل 1986. كانت أوكرانيا في تلك الأيام جمهورية سوفياتية وجاء حادث تشيرنوبيل ليؤكد، بما لا يقبل أدنى شك، أن الاتحاد السوفياتي دولة من العالم الثالث تمتلك مفاعلات نووية لكنها غير قادرة على المحافظة على سلامتها.

في ظل الكارثة التي يمرّ فيها الاقتصاد الإيراني، جاء اغتيال قاسم سليمان الذي يعتبر رمزاً للمشروع التوسعي الإيراني. لم يعد لدى إيران ما تزد به على تصفية من تعتبره المسؤول الأول عن مشروعها الإقليمي. كان قصف قاعدة عين الأسد الأميركية في العراق أقرب إلى تمثيلية هزلية أكثر من أي شيء آخر. وجاء إسقاط طائرة الركاب الأوكرانية عن طريق الخطأ ليكشف أن

الحدث الأول في الثالث عشر من كانون الثاني - يناير 1986 عندما انفجر الوضع في اليمن الجنوبي الذي كان يسمى "جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية". كانت هذه الجمهورية مستقلة وبقية الوحدة اليمنية. كذلك، كانت ممرّ جرم يدور في الفلك السوفياتي وموطئ قدم له في شبه الجزيرة العربية. جاء الانفجار الداخلي في اليمن الجنوبي، على شكل حرب أهلية، بين أنصار الرئيس (وقدذاك) علي ناصر محمد وخصومه، ليظهر أن السيطرة السوفياتية على البلد انتهت فعلياً. تبين، بكل بساطة، أن القوة العظمى الأخرى في العالم ليست سوى نمر من ورق. لعل أبرز دليل على ذلك الاستعانة ببحث ملكة بريطانيا لإجلاء الدبلوماسيين من "جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية".

نذر التصعيد والتبريد في المنطقة

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العيقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant

177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

مع الجانبين الإيراني والأميركي، ومطلوب منها عدم تكرار الخطأ السابق، عندما استضافت إرهابيات الاتفاق النووي الماضي وشاركت في بواكيره، بضرورة إطلاع الدول المجاورة واستصحاب هواجسها وتحفظاتها ورغباتها في تفاصيل أي خطوة تتخذها في هذا السياق، وإلا فإنها ستكون بمثابة جولة جديدة من مسلسل الحلقات المفرغة ودوامية أخرى تستمر في استنزاف المنطقة وتاجيل حقها في التنمية والهدوء والتقدم.

ورغم المرحلة القاسية التي تعصف بإيران، يرفض قياديوها الاعتراف بأساس المشكلة، ويظهر دبلوماسيتها في كل مكان باعتبارهم الوجه المنحصر، وفقازات حرير المخالب المتحفة، لتقديم سردية مزيفة تبعد عنهم شبهات المسؤولية وتلقي باعبائها على الآخرين، في استمرار للتحايل على الواقع والقفز على الحقائق وحماية للمشروع من أي ضرورة للتنازل عنه أو خفض وتيرة، وعبر وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف عن استعداد بلاده لـ"الحوار مع جاراتها"، مؤكداً في تغريدته له باللغة العربية على تويتري، استعداد إيران لـ"المشاركة في أي عمل تكاملي يصب في مصلحة المنطقة"، على حد وصفه.

وأضاف ظريف في تغريدته، أن طهران "ترحب بأي خطوة تعيد الأمل لشعوب المنطقة وتأتي لها بالاستقرار والازدهار".

بعد يوم واحد فقط من هذه التصريحات المسرحية لما يفترض أنه وجه النظام الوديع، هاجم أحد صقوره المتطرفين دولة الكويت، وصرح أمير علي حاجي زادة قائد القوات الجوية التابعة للحرس الثوري الإيراني بأن الأراضي الكويتية كانت جزءاً من عملية اغتيال سليمان، الأمر الذي استغفرت القيادة الكويتية وسجل استمراراً وإصراراً من طهران على افعال الأزمات والاضطرابات على أرض هشة من الاختلالات والفكرات.

دافوس الاقتصادي العالمي الذي انعقد مؤخراً، وقال إن الأطراف المعنية بالزراعات في منطقة الشرق الأوسط لا تريد لها بل إدارتها، وأنهم يجتمعون لحماية مصالحهم لا لإيجاد حلول للآزمات. وتساءل هل ننوي الاستمرار على هذه الوتيرة؟ ماذا نريد أن نراه في الشرق الأوسط خلال الـ50 سنة المقبلة؟ لم نجد جواباً على هذا السؤال.

وتبدل عمان جهوداً لإحداث اختراق ما في ملف الخلافات الإيرانية - الأميركية الحادة، والمنعكس بطبيعة الحال على المنطقة، وهي التي تملك علاقات مهمة



منفتحة على إجراء محادثات مع طهران، مشدداً على أن "الأمر يرجع في الحقيقة إلى إيران". وأضاف أنه يتعين على إيران أن تقر بأنه "لا يمكنها دفع أجندتها الإقليمية من خلال العنف". كشرط لأي محادثات.

وتابع "سعداء بأن المنطقة تجنبت أي تصعيد مع إيران"، مشيراً إلى أن دولاً كثيرة عرضت الوساطة لإجراء محادثات مع إيران.

السعودية تفضل استثمار حالة الضعف التي تكادها إيران اليوم، لصالح دفعها إلى تأسيس حالة سلام دائم ووضع أسس متينة لحل نهائي، يجنب المنطقة وشعوبها ويلات الصدام والقلق والاضطراب الذي عرفته منذ اختارت طهران مناصبة جيرانها العداء والفت في عهد استقرار المنطقة والسلم الأهلي لشعوبها، بشرط أن

يحدث ذلك على أساس سليم، لا يساوم أو يزايد على هواجس الدول العربية، أو يقدمها لقمة سائغة لأصحاب المشاريع الإقليمية التوسعية، وأن تحتفظ الصياغات السياسية بحق أهل المنطقة في وضع هواجسهم وشروطهم في سلة الصفقات وعلى طاولتها، وليس خارج الحسابات والتفاهات، وأن يكون المجتمع الدولي حاضراً بصفة تزيهية تزيد في زخم المصادقية والالتزام، وليس بصفة التفاخية تعطي الشرعية لواقع مهلهل أو صعبة مزيفة.

وقد طرح وزير الخارجية العماني يوسف بن علوي فكرة من هذا القبيل، خلال منتدى

لكن هذا ليس كافياً لتقديم شهادة قاطعة بتنازل طهران عن مشروعها أو انخفاض حماسها لتفنيده، وليس أكثر من مجرد انحناء تكتيكي فرضته قسوة المواجهة ووطاة العقوبات، وكلفة الغضب الأميركي، إلى حين مرور العاصفة، سواء بأمنيات خسارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب لفرصة ولايته الثانية ووصول رئيس آخر يذكرهم بإيام براك أوباما السعيدة، أو بخلق ثغرة في جدار العزلة الدولية تمكنهم من التحايل والالتفاف على من الحقيقة الراهنة، وتؤمن خروجاً رصيد مشروعهم التوسعي وأجندتهم التخريبية.

دول المواجهة الصريحة، لإسما المملكة العربية السعودية، أكثر من يعرف حقيقة النظام في إيران، ويدرك أن مسألة تنازله عن مشروع تشبه الانتحار، وأن النظام والمشروع متلازمان بما لا يصح معه التفريق والتفاوض ورجاء الخير من ورائه، وأن القيادة المنتسبة بعقيدة ميتافيزيقية متشددة على نحو ما عرفته المنطقة من جماعات العنف والتطرف، ليست مستعدة لإعادة النظر في سلوكها وسياساتها، لأنها تفعل ذلك من منطلق مصري وحدي، لا يفهم من السياسة إلا وسيلة لغاية نهائية موعلة في البدائية والتخلف.

وهذا ما قاله نائب وزير الدفاع السعودي الأمير خالد بن سلمان، بأن الخلاف بين السعودية وإيران ليس متعلقاً بالسنة والشبيعة بل هو تصادم بين رؤية 2030 ورؤية 1979، وأن جهود بعض الواسم الأوروبية لاسترضاء إيران قد يكون ثمنها فادحاً، على مفاص المانيا النازية.

لكن الرياض لم تغلق الأبواب دون أي فرصة للحوار، بل أكدت في الكثير من المرات دعمها لأي مشروع تقيناه دول إقليمية أو دولية لتجسير الهوة في المنطقة وريدم الفجوة بين دولها، وشددت على عدم الدفع بالآزمة إلى نهاياتها القصوى، أو جزر المنطقة إلى حرب مدمرة لن يسلم منها أحد.

وقد أكد وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بن فرحان، أن المملكة

عمر علي البدوي
كاتب سعودي

استعاد الحوثيون نشاطهم خلال الفترة القصيرة الماضية، بما فيها الهجمات الصاروخية قصيرة المدى على الحدود السعودية، والإفراط الإعلامي في إظهار فعاليتهم الموهمة ومن ذلك الادعاء باستهداف مواقع نفطية في السعودية، بعد جولة من التهذئة شهدتها اليمن مؤخراً لكن يبدو أن هذا التصعيد يأتي جزءاً من استراتيجية الرد الإيراني على الصعقة الموجهة التي تلقفتها الشهر الماضي، وبحكم ارتهاج الجماعة الحوثية لخيارات طهران وحساباتها، استغرقت في دور جديد يخفف من الضغط الذي يواجهه رعاتها في إيران نتيجة الهزائم المتكررة التي يتلقونها كل مرة.

دول المواجهة الصريحة، لإسما المملكة العربية السعودية، أكثر من يعرف حقيقة النظام في إيران، ويدرك أن مسألة تنازله عن مشروع تشبه الانتحار، وأن النظام والمشروع متلازمان بما لا يصح معه التفريق والتفاوض ورجاء الخير من ورائه

بدت رياح ما بعد مقتل قاسم سليمان وكانها هدات إلى حد بعيد، وأن منطقة الخليج العربي شهدت تبريداً ملموساً من الأطراف الفاعلة في مشهدها، وقدمت إيران إشارة على عدم نيتها التصعيد بعد خسارة أهم زعمائها، وأن صواريخ "حفظ ماء الوجه" كانت كافية لإلهاه أنصارها المتعشقين لمعارك الكلام ووجبات الشعارات الدسمة في مقارعة "الشیطان الأكبر".